مجلة المنهل ـ المجلد: 07، العدد: 02 (2021م) ـ ص ص 39 – 56
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

القرائن اللفظيّة في التركيب القرآني

ـ دراســة في كتاب البيان في روائــع القــرآن ـ

Verbal clues in the Quranic structure

- A study in the book Al-Bayan in Masterpieces of the Qur'an -

زينــب معمري (*)
مخبر اللسانيات التقابلية، جامعة الأغواط (الجزائر)
z.maamri@lagh-univ.dz

بشــير بديار
مخبر اللسانيات التقابلية، جامعة الأغواط (الجزائر)
hamoudati62@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/06/22	2021/08/11	2021/11/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يتضمن هذا البحث ظاهرة من الظواهر اللغوية التي تتجلى في القرآن الكريم وهي ظاهرة القرائن اللفظيّة في التركيب القرآني، فهي من معالم إعجاز القرآن الكريم وهو المعجز بلفظه ومعناه. ويركز هذا البحث على محاولة تمام حسان في دراسة هذه القرائن في كتابه المعنون بـ "البيان في روائع القرآن" الذي ذكر فيه الكثير من الأمثلة التي يتضمنها التركيب القرآني. ود تمام حسان من اللسانيين المحدثين الذين اهتموا بدراسة اللغة متأثرين بالمناهج الغربية الحديثة مستفيدين منهم في دراساتهم، كما أن تمام حسان من المفكرين الملمين بالتراث اللغوي العربي، وعلى هذا سيتم التطرق إلى مفهوم القرائن اللفظيّة، وكيف عالج تمام حسان هذه القرائن في كتابه مطبقا ذلك على القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القرائن اللفظيّة؛ التركيب القرآني، تمام حسان، كتاب البيان في روائع القرآن.

Abstract :

This research includes one of the linguistic phenomena that is reflected in the Noble Qur'an, which is the phenomenon of verbal clues in the Qur'anic structure. This research focuses on Tamam Hassan's attempt to study these clues in his book entitled "The Statement on the Masterpieces of the Qur'an" in which he mentioned many examples that are included in the Qur'anic strucTture. Dr. Tamam Hassan is one of the modern linguists who are interested in studying language influenced by modern Western curricula, benefiting from them in their studies, and Tamam Hassan is one of the thinkers who are familiar with the Arab linguistic heritage, and on this the concept of verbal clues will be addressed, and how Tamam Hassan handled these clues in his book, applying this to The Holy Quran

Keywords: Verbal clues; Quranic Composition, Tamam Hassan, Book of Statement in Masterpieces of the Qur'an

(*) المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

إنّ القرآن معجز بلفظه ومعناه وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فدراسة القرآن ومحاولات فهمه كثيرة لكثرة مضامينه، والكلّ يسعى إلى فهم الخطاب القرآني وإدراك معانيه وفهم ألفاظه، لذلك سعى الكثير من الباحثين إلى البحث فيه وتدوين مؤلفات كثيرة حوله، ومن المواضيع المهمة دراسة القرائن اللفظيّة في القرآن التي تجعل من التراكيب القرآنية متماسكة، حيث تعد من أبرز المعالم اللغوية للإعجاز في القرآن الكريم، والتي لها تأثير كبير على الوضع اللغوي والتراكيب اللغوية. وقد أشار اللساني تمام حسان إلى هذه الظاهرة في كتابه "البيان في روائع القرآن" حيث تطرق للحديث عن القرائن في القرآن الكريم، لذلك تم تخصيص هذه الورقة البحثية لإبراز دراسة تمام حسان في كتابه السالف الذكر.

وقبل التطرّق إلى القرائن اللفظيّة في القرآن الكريم تجدُر الإشارة إلى مفهوم مصطلح القرينة، ثم التطرق إلى القرائن اللفظيّة وشرحها، وفق منهج وصفي تحليلي.

2. مفهوم القرينة:

لقد ذكر تمام حسان مختلف القرائن وأقسامها وقدّم تعريفات مختلفة لها، كما توسّع في الدراسة حول قرائن التعليق لما لها من أهمية في دراسة العلاقات النحوية. واعتبر قرائن التعليق: المنطلق الصحيح لدراسة العلاقات النحوية، وتضمّ: قرائن مقاليّة وقرائن حاليّة أو مقاميّة (تُعرف من المقام). والقرائن المقاليّة تضمّ قرائن معنويّة وأخرى لفظيّة. أمّا القرائن المقاليّة: فتنقسم إلى معنويّة ولفظيّة. وتُعد أهم القرائن لتعددها وتنوعها، وكذلك "للدور الكبير الذي تلعبه في تحديد المعنى الوظيفي للتركيب." (عبد الوارث، 1980، صفحة 181) والقرائن الحالية: هي القرائن التي تُستمد من المقام، وهي من ظروف أداء المقال. أو كما يُسميها (المبهمات) مثل "هذا" لفظة فارغة (عند الإشارة بها) لا يملؤها إلا المقام. (فلا تُفهم إلا إذا قال مثلا: وأشار بإصبعه على شخص. وكتب ذلك). وهي القرائن "التي تُشبه ما يسمونه في المرافعات circumstantial evidence وهي القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى." (تمام ح.، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 338) أي إنها تُفهم من المقام الذي يُعد، و هذه القرائن لا يمكن الاستغناء عنها، فهي تساعد على توضيح المعنى.

وتعرف القرينة لغويا في قول ابن منظور: " قرَنتُ الشيء بالشيء وصَلتُه وقرَن الشيء بغيره قرنا شدَّه إليه، وكل منهما قرين أي صاحب أي ملازمٌ." (منظور، 2010، صفحة 335)

وتُعرف أيضا بأنها: "الدلالة التي تُمحضُ المدلول وتصرفه إلى المراد وتمنع غيره من الدخول فيه." (محمد، 1985، صفحة 185)

أمّا في الاصطلاح فتعريف القرينة كان له حضور كبير في عدة دراسات وكتب، وما يهمّنا في هذا البحث وما يسعُنا ذكره هو طرح تمام حسان للقرائن، وما يهمّ في هذا البحث هو تعريف القرائن اللفظيّة، حيث يعرفها في كتابه البيان في روائع القرآن بأنّها:" عنصر من عناصر الكلام يُستدلُّ به على الوظائف النحوية فيمكن بالاسترشاد بها أن نقول هذا اللَّفظ فاعل وذلك مفعول به أو غير ذلك." (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 10) ويعني هذا أنّ القرينة المعنويّة هي العلاقة بين مفردات الجملة، أما القرينة اللفظيّة فهي عنصر لغوي دالّ على الباب النحوي.

ولقد تأثّر تمام حسان في نظريته (نظرية القرائن)، بما قدمه عبد القاهر الجرجاني في فكرة النظم والتعليق. ورأى أنّ "أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن، هي ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني صاحب مصطلح (التعليق) وقد كتب دراسته الجادة في كتابه (دلائل الإعجاز) تحت عنوان النظم. ولكن عبد القاهر أورد في هذه الدراسة أربعة مصطلحات هي: النظم، والبناء، والترتيب، والتعليق." (تمام ح.، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 186) فقد قام منهجه على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية وعدَّها أصلح محاولة. وأكد أنّ "أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان "التعليق"، وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظيّة والمعنويّة والحالية." (تمام ح.، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 188)

3. القرائن اللفظيّة

وهي القرائن الظاهرة والتي يستطيع المعرب كشفها بسهولة، وهي "عنصر من عناصر الكلام يستدلّ به على الوظائف النَّحوية فيمكن بالاسترشاد بها أن نقول: هذا اللفظ فاعل وذلك مفعول به أو غير ذلك." (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 7) وهذه القرائن هي:

1- قرينة العلامة الإعرابية:

كانت أوفر القرائن حظا من اهتمام النحاة، فقد جعلوا منها نظرية سموها نظرية العامل. (تمام ح.، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 205) وهي قرينة لفظيّة لها أهمية كبرى في الجملة العربية، وحظيت باهتمام اللغويين القدامى والمحدثين معا، وهي على نوعين علامات أصلية وتشمل الضمة علامة للرفع أو الفاعلية، والفتحة للمفعولية والكسرة للجر أو للإضافة، وعلامات فرعية نابت عن العلامات الأصلية كالحروف. (المخزومي، 1986، صفحة 67) ولقد اهتمّ تمام حسان بالعلامة الإعرابية

وعدَّها قرينة مثل بقية القرائن، ويؤكد على هذا في قوله: "ولا أكاد أمل ترديد القول: إنّ العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم (تضافر القرائن)." (تمام ح.، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 207) ويصفها بأنّها "قرينة يستعصي التمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديريا أو محليا أو بالحذف، لأنّ العلامة الإعرابية في كل واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة فيستفاد منها معنى الباب. حتى حين ننظر إلى مطلق العلامة كمطلق الضمة أو مطلق الفتحة أو مطلق الكسرة فسنجد أنها لا تدل على باب واحد وإنما تدل الواحدة منها على أكثر من باب." (تمام ح.، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 205) (تمام ح.، مقالات في اللغة والأدب، 2006، صفحة 255)

ويُفسر اختلاف الحركات في المعربات إلى العرف الاجتماعي، واللغة في نظره منظمة عرفية، فمثلا الفاعل مرفوع لأن "العرف ربط بين فكرتي الفاعلية والرفع دون ما سبب منطقي واضح، وكان من الجائز جدا أن يكون الفاعل منصوبا، والمفعول مرفوعا، لو أنّ المصادفة العرفية لم تجر على النحو الذي جرت عليه. المقصود من أية حركة إعرابية إذا هو الربط بينها وبين معنى وظيفي خاص، وقد جاءت هذه الحركة في نمطية اللغة على هذه الصورة، لأنّ العرف ارتضاها كذلك." (تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، 2000، صفحة 57)

2- قرينة الرتبة:

وتعني "ملاحظة موقع الكلمة في التركيب الكلامي." (الساقي، 1997، صفحة 186) فلكل عنصر لغوي في التركيب موقعه، ورتبة كل عنصر قرينة دالة على وظيفته النحوية، وتعني "أن يكون للكلمة موقع معلوم بالنسبة لصاحبتها، كأنْ تأتي سابقة أو لاحقة، فإذا كان هذا الموقع ثابتا سمّيت الرتبة محفوظة، وإذا كان هذا الموقع عرضة للتغيير سميَّت غير محفوظة." (تمام، مقالات في اللغة والأدب، 2006، صفحة 357) (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 207) (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 67)وتُعد قرينة الرتبة "النظام الذي تشكله الوحدات في سياق أفقي محدّد كأن تتقدم وحدة على وحدة أخرى، أو تتأخر عنها بشكل ثابت أو غير ثابت، نحو تقدّم العمدة على الفضلة، والمتبوع على التابع فعلى سبيل المثال: للتوابع مكان ثابت في الجملة فلا تتقدم الصفة على الموصوف نحو قولنا (جاء محمد الكريمُ)." (كوليزار، 2009، صفحة 186)

وتنقسم الرتبة في النحو العربي إلى قسمين:

أ- رتبة محفوظة:

ومعناها "موقع الكلمة الثابت متقدما أو متأخرا في التركيب الكلامي بحيث لو اختل هذا الموقع لاختل التركيب باختلاله." (الساقي، 1997، صفحة 186) وتعتبر الرتبة المحفوظة كما تعتبر الرتبة بشكل عام "من الظواهر الشكلية التي بواسطتها يمكن تحديد معنى الأبواب النحوية وبالتالي معرفة وظائفها." (الساقي، 1997، صفحة 186) وقرينة الرتبة تحدّد معنى الأبواب المرتبة بحسبها، ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي: أن يتقدم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة، ويتأخر البيان عن المبين والمعطوف بالنسق عن المعطوف عليه والتوكيد عن المؤكد، والبدل عن المبدل والتمييز عن الفعل ونحوه وصدارة الأدوات في أساليب الشرط والاستفهام، والعرض والتخصيص ونحوها وهذه الرتبة (صدارة الأدوات) هي التي دعت النحاة إلى صوغ عبارتهم الشهيرة (لايعمل مابعدها فا قبلها) ....وغيرها من الرتب المحفوظة. (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 207)

ويشير تمام إلى أمر يراه مشكلة في فهم المعنى،

ب- رتبة غير محفوظة:

ومعناها "موقع الكلمة المتغيّر في التركيب الكلامي، متقدما أحيانا ومتأخرا أحيانا أخرى. واصطلاح التقديم والتأخير في مفهوم البلاغيين ينظم هذه الرتب غير المحفوظة." (الساقي، 1997، صفحة 188)

وهذه القرينة إذا عالجها النحاة والبلاغيون تحت عنوان "التقديم والتأخير"، وهو أسلوب يستخدمه المتكلم فيتصرف في العبارة خدمة للمعاني التي يقصدها، وقد أشار إلى هذا عبد القاهر الجرجاني رابطا الترتيب بالقصد فقال: "لا يمكن ترتيب شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة أو صنعة، إن لم يقدم فيه ما قدم، ولم يؤخر فيه ما أخر، وتُثّي بالذي تُلث به، تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة." (عبد القاهر، 2011، صفحة 195) ، ويعلل تمام حسان تسميتها بالرتبة رغم عدم حفظها بقوله: "هي رتبة في النظام فقط وقد يحكم الاستعمال بوجوب عكسها، كما في تقديم المفعول على الفاعل نحو: (حيَّاك الله) أو بوجوب المحافظة عليها نحو: (هذا أخي) وإنّما يكون هذا أو ذاك عند خوف اللبس أو اتقاء مخالفة القاعدة..." (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 91) فهي رتبة وإن لم تُحفظ ذلك بسبب خوف اللبس وتفادي مخالفة القاعدة.

وأورد مجموعة من الملاحظات في حديثه عن الرتبة تُعد خلاصة لقرينة الرتبة هي: (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 210)

– أنّ الرتبة قرينة لفظيّة وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق، يدلّ موقع كل منهما عن الآخر في معناه.

– أنّ الرتبة أكثر ورودا مع المبنيات منها مع المعربات، وأنّ ورودها مع الأدوات والظروف من بين المبنيات أكثر اطرادا منه مع غيرها.

– أنّ الرتبة لكونها قرينة لفظيّة تخضع لمطلب أمن اللبس، وقد يؤدى ذلك إلى أن تنعكس الرتبة بين الجزأين المرتبين بها.

– الرتبة فرع على التضام بمعناه العام وإذ لا رتبة لغير المتضامين.

3– قرينة الصيغة:

وهو "القالب الذي تصاغ الكلمات على قياسه ويسمى (الصيغة الصرفية)، وهذه الصيغة الصرفية تعتبر مبنى فرعيا على مبنى التقسيم، اسما كان أو صفة أو فعلا، وكل صيغة من هذه الصيغ الفروع تعبر عن معنى فرعي منبثق عما يفيده المبنى الأكبر، من معنى تقسيمي عام كالاسمية والوصفية، والفعلية." (الساقي، 1997، صفحة 133). ويوضح تمام هذه القرينة " تكون الصيغة قرينة لفظيّة على الباب، فنحن لا نتوقع للفاعل ولا للمبتدأ ولا لنائب الفاعل أن يكون غير اسم ولو جاء فعلا في هذا الموقع لكان بالنقل اسما محكيا، كما يحدث عندما نعرب عبارة مثل: "ضرب فعل ماض" إذ يصير ضرب مبتدأ وفعلا وخبرا وماض نعت لأنّ ضرب هنا حكى وقصد لفظه فصار اسما كالأسماء الأخرى وتحقق للمبتدأ أن يكون اسما. على أنّ معاني الصيغ الصرفية تكون وثيقة الصلة بالعلاقات السياقية..." (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 210)

4–قرينة المطابقة:

" (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 211) مسرح المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر، فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف مثلا إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية، فإنّ علاقتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة، وأمّا الخوالف فلا مطابقة فيها إلا ما يلحق "نعم" من تاء التأنيث." والمطابقة تكون في ما يأتي:

أ– **العلامة الإعرابية:** تكون للأسماء والصفات وللفعل المضارع فيتطابق بها الاسمان والاسم والصفة والمضارعان المتعاطفان. وفي هذا قال النحاة مثلا: "الأصل في المبتدأ والخبر الرفع." (سيبويه، 1988، صفحة 126)

ب– **الشخص:** (التكلم والخطاب والغيبة).وتختلف الضمائر وتتمايز بحسبه بين التكلم والخطاب والغيبة، ومن ثم تتضح المقابلات بحسبه في إسناد الأفعال وإذا كان الفعل مسندا إلى الاسم الظاهر فهذا

الاسم في قوة ضمير الغائب، أمّا إذا كان الفعل نواة جملة خبرية مبتدؤها ضمير فإنّ الفعل لابدّ أن يطابق من حيث ما تقدمه من ضمير.

ج- العدد: (الإفراد والتثنية والجمع). وهو يميز بين الاسم والاسم وبين الصفة والصفة وبين الضمير والضمير(سواء أكان الضمير للشخص أو للإشارة أو الموصول) ومن هنا يتطابق الاسم والاسم والصفة والصفة، والاسم والصفة، والضمير المبتدأ وإسناد الفعل الذي في جملة خبره من حيث الإفراد والتثنية والجمع، ثم ما يعود على كل ذلك من الضمائر يكون مطابقا له في العدد.

د- النوع: (التذكير والتأنيث) ويكون أساسا للأسماء والصفات والضمائر، وتتطابق الأفعال مع هذه الأقسام عند إسنادها إليها أو إلى ضمائرها العائدة إليها، كما تتطابق هذه الأقسام في ذلك في مواضع التطابق.

هـ-التعيين: (التعريف والتنكير) ولا يكونان إلا للأسماء فإذا لحقت ال بالصفة كانت (ال) موصولة والصفة الصريحة صلتها، وتكون (ال) في هذه الحالة من قبيل الضمائر الموصولة لا أداة للتعريف ومع ذلك تتطابق بها الأسماء مع الصفات. وأما غير ذلك من أقسام الكلم فلا يقبل (ال).

5-قرينة الربط:

قرينة لفظيّة على اتصال أحد المترابطين بالآخر. ويتم الربط بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره وبين الحال وصاحبه؛ وبين المنعوت ونعته وبين القسم وجوابه وبين الشرط وجوابه الخ. وأيضا الربط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة كما يفهم منه الربط، أو بالحرف أو بإعادة اللفظ أو إعادة المعنى أو باسم الإشارة أو الـ أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر. (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 213) فالربط علاقة تؤديها بعض العناصر فتكون عونا على فهم الجملة.

6-التضام:

فالكلمات تنتظم في الجملة وتكون بينها علاقات. ويُعنى بالتضام "أن تستدعي الكلمة كلمة أخرى في السياق أو الاستعمال، أو إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى أعم من معنى أيها، كضم حرف النداء أو جرف الجر إلى الاسم... وهو إحدى القرائن الشكلية التي تعين على تحديد مواقع بعض الكلمات، بين أقسام الكلمة وهو من العناصر البارزة التي تكوّن نظام تأليف العبارة في اللغة العربية." (الساقي، 1997، صفحة 196)

ويوضح د. تمام هذه القرينة بأنه يمكن فهمها على وجهين: (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، الصفحات 216-217)

أ- أنّ التضام هو الطريقة الممكنة في رصف جملة ما. فتختلف كل طريقة منها عن الأخرى تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلا وهلم جرا. ويمكن إطلاق مصطلح "التوارد" على هذا الفرع من التضام.

ب- أنّ المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصرا آخر، فيسمى التضام هنا "التلازم" أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا "التنافي".

والوجه الثاني هو المتمثل في الحالات التي يأتي عليها التضام؛ باعتباره قرينة لفظيّة من المنظور النحوي، أمّا التوارد فهو تضام يتعلق بمطالب أسلوبية جمالية ولذلك فهو لا يعتبر قرينة من القرائن، ويُعين التَّضام على تحديد الباب الذي ينتمي إليه العنصر التحليلي، بواسطة معرفة العلاقات بين العناصر المتضامة، والتي تكون بالإيجاب؛ أي قبول التجاور عن طريق استدعاء بعضها بعضا في بيئتها التركيبية، وهذه العلاقة اصطلح عليها بالتلازم، وقد يكون التضام بالسَّلب أي رفض التجاور وهذه العلاقة هي التنافر، ويتجسد التضام باعتباره قرينة في وجهين رئيسين يجمعهما مصطلح (التلازم) وهما: الاختصاص والافتقار ويصطلح عليهما في موضع آخر بالمناسبة النحوية. (تمام ح.، الخلاصة النحوية، 2000) (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 20)

أ- **الاختصاص:** ومعناه "أن يدخل الحرف على مدخول عينه وإن كان ذلك له بسبب لفظه لا بسبب معناه. فمعنى (إنّ) مثلا هو التوكيد وهو معنى يمكن الوصول إليه بطرق مختلفة ولكن (إنَّ) تختص بالدخول على الاسم المبتدأ." (تمام، الخلاصة النحوية، 2000، صفحة 80)

ب-الافتقار: ومعناه "أنّ لفظا ما لا يستقل بالإفادة ولا يوقف عليه في الكلام غالبا، وإنما يتطلب في حيزه لفظا آخر لا غنى له عنه... ويترتب على مبدأ الافتقار ألّا يُستغنى بحرف الجر عن المجرور ولا بحرف العطف عن المعطوف، ولا بالحروف المصدرية عن الفعل ولا بالموصول عن الصلة وهلم جرا" (تمام، الخلاصة النحوية، 2000، صفحة 80)، ويُقسه د.تمام حسان إلى قسمين:

أ- **الافتقار المتأصل:** هو" افتقار العناصر التي لا يصح إفرادها في الاستعمال وإن صح ذلك عند إرادة الدراسة والتحليل. مثال ذلك افتقار حرف الجر إلى المجرور وحرف العطف إلى المعطوف...الخ" (تمام، الخلاصة النحوية، 2000، صفحة 154)، وهذه الألفاظ المفتقرة تأصُّلا جامدة وطابعها العام البناء، وهي ألفاظ محصورة العدد لا تقبل الزيادة أو النقص. (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 126)

وباعتبار هذا النوع من الافتقار قرينة لفظيّة يكون فيها أحد المتضامين دالا على الآخر، يوضح د. تمام هذا في شرحه افتقار الضمير إلى مرجعه في قوله: "الضمير العائد يذكر فيكون قرينة دالة على الارتباط بين جملة فرعية أو نحوها، وبين بقية أجزاء الجملة الكبرى ولكنه إذا قامت قرينة أخرى تفيد ما

يفيده هذا الضمير أو تدل على هذا الضمير أمكن حذفه." (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 218)

ب- الافتقار غير المتأصل: وسمي غير متأصل لأنّ "الافتقار هنا غير منسوب إلى الكلمة فحين تقع الكلمة موقعها للتعبير عن الباب، لا يكون الافتقار للكلمة لأنها غير مفتقرة بحسب الأمثل وإنما يكون الافتقار للباب، فكل كلمة تقع هذا الموقع يفرض عليها الباب هذا النوع من الافتقار." (تمام، الخلاصة النحوية، 2000، صفحة 154) ومن أمثلته افتقار المضاف إلى مضاف إليه والحال إلى حدث تلابسه وفعل التعجب إلى تمييز والمبتدأ إلى خبر (تمام، الخلاصة النحوية، 2000، صفحة 154)

وتبرز أهمية التضام باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصوّر أسلوب تآلف الكلمات في اللغة، ثم استخدام صورة التآلف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلمي، والفرق بينه وبين العلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والجدول، إن هذه السمات الشكلية الأربع –الأخيرة– تتعرض موضوعاتها في الغالب للأجزاء التحليلية من التركيب الكلامي، أمّا التضام فإنّه من السمات الشكلية التي يتعرض موضوعها للتركيب الكلامي نفسه. (الساقي، 1997، صفحة 196)

7- الأداة:

وهي القرينة اللفظيّة المستخدمة في التعليق، وتُعد الأدوات في مجموعها من المبنيات فلا تظهر عليها العلامة الإعرابية، ومن ثم أصبحت كلها ذات رتبة شأنها في ذلك شأن المبنيات الأخرى التي تعينها الرتبة للاستغناء عن الإعراب. (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 224) وهذه الأدوات على نوعين: (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، الصفحات 224-225)

- **الأدوات الداخلة على الجمل:** رتبتها على وجه العموم الصدارة. ومثالها النواسخ وأدوات النفي والتأكيد والاستفهام والنهي والتمني والترجي والعرض والتخصيص والقسم والشرط والتعجب والنداء.

- **الأدوات الداخلة على المفردات:** رتبتها دائما رتبة التقدم. ومثالها حروف الجر والعطف والاستثناء والمعية والتنفيس والتحقيق والتعجب والتقليل والابتداء والنواصب والجوازم التي تجزم فعلا واحدا(لم، لمّا، لـ الأمر ، لا الناهية).

وتشترك الأدوات في أنّ لكل أداة منها ضمائمها الخاصة فهي تتطلب بعدها شيئا بعينه. وتدل بمعناها الوظيفي وبموقعها وبتضامها مع الكلمات الأخرى على ضمائمها.

8- النغمة:

وهي "الإطار الصَّوتي الذي تُقال به الجملة في السياق." (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 226) فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية، هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال

محددة، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة. فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة فاؤها وعينها ولامها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض وبعضها يتفق مع النبر وبعضها لا يتفق معه. (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 226)

4. القرائن اللفظيّة في النص القرآني من خلال كتاب (البيان في روائع القرآن):

يُعد كتاب (البيان في روائع القرآن) عبارة عن تطبيقات عملية للقرائن النحوية على دراسة النصّ القرآني لغويا وأسلوبيا. وفي هذه الدراسة نعرض أهم ما جاء من قرائن لفظيّة في هذا الكتاب وقد سبق التعرف عليها من خلال كتاب تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها) ومقتطفات من مؤلفاته الأخرى، وتطبيقه لنظرية القرائن النحوية لدراسة النص القرآني له غايات تعليمية وجمالية نقدية وتفسيرية.

وفي البداية جدير بالذكر أن دافع تمام حسان في تحليله للنص القرآني ليس تفسيرا للقرآن الكريم، وإنّما كان دافعا تعليميا بالدرجة الأولى، فقد كان منذ البداية متجها إلى الغايات العملية التي دعته إلى التوجه لدراسة القرآن، قد دعاه لهذا ارتباطه بالعمل البيداغوجي فقد كان مشرفا على التخصص اللغوي والتربوي في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، وتولى تدريس مادة (دراسات لغوية وأدبية في القرآن). (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 3)

كما أنّ حفظه القرآن في صغره وقراءته له خاشعا لجلاله مستمتعا بجماله، وسؤاله نفسه عن سر هذا الجلال والجمال يُعد دافعا دينيا لدراسته للنص القرآني. (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 3) وأيضا تعدّ حاجة الطلاب والدارسين غير العرب– الذين كثيرا ما أشرف عليهم– لفهم النص القرآني دافعا لهذه الدراسة لمعرف أسرار إعجاز القرآن الكريم.

وفي كتابه اعتمد على مبادئ عدة نذكر منها:

مزاوجته في كتابه بين منهجين: المنهج الوصفي البنيوي والمنهج الوظيفي، وتأثّر ببعض أفكار سيبويه بصفة عامة وببعض أفكار عبد القاهر الجرجاني خاصة، بهذا كانت دراسته مزيج بين التراث والحداثة.

كان تفسيره لبعض الآيات في السور القرآنية محصلة تفاعل وتشابك وتضافر القرائن النحوية.

واستعان في تحليله للتراكيب القرآنية بالسياق الخارجي عن النص القرآني، وهذا من خلال استعانته بعلوم أخرى غير لغوية كأسباب النزول وأيضا علم الاجتماع والنفس.

وأنّ القرائن تفسر بعضها بعضا أي إن الآيات أو النصوص القرآنية تفسر بعضها بعضا.

أما طريقته في الدراسة فقد التزم د تمام حسان بتقديم ملخص نظري للقرائن؛ ثم مثَّل لها تطبيقيا بتعقبها وتتبع ورودها في آيات من سور القرآن الكريم، وقد حاول تفسير بعض السور القرآنية كسورة الرحمان والواقعة و يوسف والفرقان والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت تفسيرا موجزا.

وقبل التطرق إلى بعض القرائن التي ذكرها تمام حسان في كتابه، تجدر الإشارة إلى ما تم التطرق إليه في كتابه حول النمط التركيبي في القرآن الكريم، فقد تحدث عن الجملة وأنماطها وكيف تخرج عن معناها الأصلي، ومثَّل لذلك بشواهد كثيرة من القرآن الكريم وقبل ذكر الشواهد عرَّف المصطلح (النمط التركيبي) كالآتي:

النمط التركيبي القرآني: لقد تناول تمام حسان هذا الموضوع في الفصل الثاني من كتابه البيان في روائع القرآن، حيث يقصد بالنمط التركيبي بناء الجملة، ولقد سمى صورة الكلمة "بنية" ولكي يبتعد عن مادة هذا المصطلح اصطلح على بناء الجملة "بالنمط التركيبي" ليدل على بناء الجملة من ركنيها وما عسى أن يكون ضروريا لعنصر الإفادة فيها. (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 56)

والجملة العربية مكونة من ركنين هما اسمان أو اسم وفعل، وقد يدخل في تكوينهما الحرف ليربط بين أحد الركنين وما قد يرتبط به من تكملة، والملاحظ على هذا القول – وهو قول النحاة – أنّ ثمة جملا عربية لا يتضح تركيبها من ركنين؛ إلا على تأويلات بعيدة كجملة القسم، والنداء، وبعض صور الدعاء نحو 'رحمتك'، ومثلها كل مصدر (نصب بواجب الحذق كما يقولون، وبعض أسماء الأفعال والأصوات نحو 'صه'، أما عدا ذلك من أنماط الجمل فتقوم بنيته على الركنين وإن استترا أحدهما أو حذف بدليل، والجملة بعد ذلك لا يتضح من تركيبها النحوي إلا أنها اسمية أو فعلية. أما ما وراء ذلك فهو معلق بقرائن مختلفة تتراوح ما بين الأداة والإعراب والربط والرتبة والتضام ثم السياق. (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 56)

ويوضح تمام حسان قيمة الأداة في تخصيص عموم تركيبي الجملتين الاسمية والفعلية، فتصبح الأداة قرينة على معنى زائد عن مجرد الاسمية والفعلية، وهو أيضا زائد على ما يعطيه الإسناد الخبري أو الإنشائي للجملة من معنى، ثم يفرق الإعراب بين تركيب وشبهه نحو: 'ما أحسن زيدٌ" و"ما أحسن زيدا" وما "أحسن زيدٍ"... (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 57)

ويقدم تمام أمثلة عندما يفرق الربط بين ما يقصد به الجواب وما يقصد به الصفة، في قوله تعالى:﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾ (المومنون 117) حيث يتضح هنا

أنّ الجواب هو ما اقترنت به الفاء، وأنّ الجملة "لا برهان له به" صفة للإله المدعي ولو اتصلت الفاء بلا النافية للجنس من "لا برهان" لكان ذلك هو الجواب ولكان "إنما حسابه عند ربه" بغير الفاء استئنافا بعد ذلك، هذا تستبين الجملة التي لها محل المفرد والجملة التي قصد بها الإسناد. (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 58)

ويبين تمام حسان أنّ أهم قرينة تفرق بين أنماط الجمل هي قرينة السياق، وهنا يشير إلى مجموعة حقائق هي: (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 59) أنّه قد يتعدد المعنى للنمط الواحد بحسب الأصل كما في نمطي الجملة المثبتة والاستفهامية.

– قد يتعدد هذا المعنى بواسطة النقل، كنقل النداء إلى الاختصاص نحو(نحن أيها العرب) والتعجب نحو (يا حسن ما رأيت!)، والدعاء نحو(يا رعاك الله)، والمدح أوالذم نحو(يا نعم المولى ويا نعم النصير).

– المقاصد الأسلوبية قد تعمل في عكس هذا الاتجاه فيتعدد النمط للمعنى الواحد، كالدعاء والتعجب والأمر.

وقد شرح تمام هذه الحقائق وأورد الشواهد القرآنية لكل واحدة منها، لكن لا يسعنا ذكرها كلها فقط سنكتف بذكر مثال واحد.

فمثلا المقصود بالنمط الخبري بحسب الأصل ما يشمل الإثبات والنفي والتأكيد، ويتمثل هذا النمط في أساسه من مبتدأ وخبر أو من فعل وفاعل أو فعل مبني للمجهول ونائب فاعل. ومثلا يمكن للصورة المثبتة من النمط الخبري أن تفيد: الشرط، والأمر، والدعاء، والعرض، والتعجب، وكل منها ذكر لها شواهد كثيرة من القرآن الكريم، فمثلا الشاهد في الشرط قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ**﴾ (البقرة 273) وقوله تعالى في: ﴿**وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ** ﴾ (البقرة 233) وهذا النمط الإثباتي كان يمكن أن يفيد الأمر لولا ما ألحق به من قوله **(لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ)** فهذا القيد حول الأمر إلى معنى الشرط (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 59)والشواهد هنا كثيرة في القرآن الكريم وقد قدم تمام شرحا تفصيليا للكثير من المصطلحات وصمّم شواهد على ذلك.

ومن أمثلة ما ذكره من القرائن ومثل لها بشواهد من القرآن:

1–قرينة الرتبة:

وذكر مثالا عن الرتبة المحفوظة في رتبة الأدوات الدالة على المفردات، كحروف الجر والمعية والاستثناء والعطف، وحفظت رتبتها لأنّها تكشف عن علاقة ما بعدها بالعناصر الأخرى في الجملة التي فيها. فمثلا في قولك (توكلنا على الله) و (على الله توكلنا) يظل حرف الجر سابقا عن لفظ الجلالة سواء

تأخر مجموعهما في الجملة أم تقدم. (تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 93) وهنا يشير تمام حسان إلى مشكلة تطورها في فهم المعنى، وهي متعلقة بالحال وعامله، حيث قال " لم أعلم أنّ واحدا من النحاة يبيح تقدّم جملة الحال على عاملها، ولكنهم أجازوا تقدم الحال المفردة على عاملها المتصرف فقط. غير أن شواهد من القرآن تكاد تجزم بتقدم جملة الحال، كما في قوله تعالى ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ** ﴾ (هود 38) وقوله ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ** ﴾ (هود 42) ويشرح الآيات بأنّه إذا كان معنى الحال الملابسة، فإنّ إحدى الطرق التعبير عن الملابسة أن يقال (بينما يحدث كذا حدث كذا)، وهذا التقدير صالح هنا للآيتين إذْ (بينما نوح يصنع الفلك سخر منه قومه كلما مر عليه ملأ منهم) وكذلك (بينما تجري السفينة بهم في موج كالجبال نادى نوح ابنه)، أما الواو التي قبل "كلما" والتي قبل "نادى" فموضعهما في الجملتين المقدرتين قبل "بينما" وقد ورد مثل ذلك في الشعر أيضا. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 93)

وفي الرتبة غير المحفوظة والتي تعد "رتبة في نظام اللغة لا في استعمالها لأنّها في الاستعمال معرضة للقواعد النحوية من حيث عود الضمير، ثم للاختيارات الأسلوبية من حيث التقديم والتأخير." (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 93) ومن أمثلتها: رتبة المفعول من الفعل ورتبته من الفاعل، ورتبة المبتدأ و الخبر ورتبة الظرف ورتبة الجار والمجرور مما تعلقا به، وأبواب نحوية أخرى. فتحفظ هذه الرتبة انتفاء للبس أو انتفاء مخالفة القاعدة كما في (ضرب موسى عيسى) و(أخي صديقي) ...الخ. وإذا لم يقع اللبس كما في (أكلت الكمثرى سلمى) أمكن للمتكلم أن يلجأ إلى التقديم والتأخير. ويشير تمام حسان إلى أنّه قد يدعو المعنى أو القاعدة إلى وجوب عكس الرتبة، كما في قوله تعالى ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (الفاتحة –5) وقوله أيضا: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ (الأنعام–158) إذ يجب تقديم المفعول به (نفسا) على الفاعل (إيمانها)،لأنّ الفاعل لو تقدّم لعاد الضمير الذي فيه على متأخر لفظا ورتبة، وفي هذه الآية وضع الفاعل في موضع لا يمكن له معه تقديم أو تأخير مع فصل بين المفعول به وصفته... وعلى رغم ما فيها من الفصل بين الموصوف وصفته، لا يمكن أن يتغير ترتيب الكلام في هذه الآية لأن العلاقة الإسنادية والسياقية بين الفعل والفاعل تصبح ضعيفة أي يضعف ارتباط الفعل بفاعله. ويصبح التركيب (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا إيمانها). (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، الصفحات 95–94) وقدم تمام تحليلا يمكن القول عنه أنه كافيا لفهم التراكيب القرآنية، فما أحسن التركيب القرآني .

ويذكر تمام حسان تركيبا آخر يظهر فيه عكس الرتبة، بإيراد المفعول لأجله أولا ثم المفعول به الموصوف بشبه الجملة ثم الفعل وفاعل، وهذا في قوله تعالى:﴿**أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**﴾(الصافات86) فمادامت الآية استفهام إنكاري، فإن ترتيب ألفاظها ينبغي أن يكون بحسب الأولوية في استحقاق الإنكار فيكون أولى الألفاظ بالإنكار هو لفظ (إفكا) ثم يليه أن ينصب الإفك على إشراك آلهة مع الله، ولو أن سياق الكلام كان على صورة أخرى مثل (أتريدون آلهة دون الله إفكا؟) لانطفأ كل ما في الكلام من حرارة الإنكار، ولبدا الكلام وكأنه سؤال لهم عما يفضلونه من أنواع الشرك. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 95)

ويذكر تمام حسان رتبا أخرى غير الرتبة النحوية، نكتفي منها بذكر الرتبة الزمانية "إذ يحكم العقل لأحد الأمرين بالتقدّم، ثم لا يتوقف المعنى على تقديمه في الكلام وإنما يؤمن اللبس على رغم انعكاس رتبة الأشياء. من ذلك قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾ (الأنبياء 90) فالمعروف من سياق الآيات أن امرأة زكريا كانت عقيما، وأن حملها بغلام لا يتم إلا بعد صلاح حالها... فالمعقول أن يتم إصلاحها أولا، ثم يترتب على ذلك أن يأتي الغلام هبة من الله لوالده ولما كان هذا المعنى لا يغيره أو يخفيه عكس ترتيب ذكر الأحداث، جاءت الآية وهي تقدم ذكر الهبة لأنها هي المظهر الأوضح للاستجابة." (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 95) ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**﴾ (مريم 23). ويشرح هذا القول تمام حسان في أنّ (النسي المنسي) هو الشيء التافه الذي لا يعتد به، وهي صفة لا يوصف بها الأموات وإنّما يوصف بها المغمورون الخاملون من الناس، ومالا خطر له من الأشياء والأحياء. لذلك لم يكن مرادها أن تقول (يا ليتني مت وكنت شيئا لا يعتد به) وإنما كان مرادها –على قول تمام حسان– (يا ليتني كنت غير معروفة عند أحد؛ ومت ميتة المغمورين الذين لا يهتم لموتهم إنسان). (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 96) وأيضا في آية أخرى يتضح فيها عكس الترتيب لأمن اللبس في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ (النمل 28) أي أنظر بم يجيبون ثم انصرف عنهم. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 96)

2–قرينة الربط:

وهي من العلاقات السياقية وتسمى علاقة الربط، ووظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظيّة التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية. والأصل في الربط أن يكون

بإعادة اللفظ لأنها أدعى للتذكير. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 109) ويقدم تمام أمثلة كثيرة عن هذا في التركيب القرآني منها:

قوله تعالى: ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ** ﴾ (التوبة 67 68) والملاحظ تكرار (المنافقون والمنافقات) بدلا من قول (وعدهم).

وأيضا في قوله تعالى:﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴾(النحل 116) تم ذكر لفظ الكذب ثلاث مرات بدلا من قول(لتفتروه). وفي قوله تعالى:﴿ **إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى** ﴾(طه 10) تكرار ذكر النار. والتكرار يكون لأسباب كثيرة منها : أمن اللبس، وقد يكون لإرادة تأكيد الربط،

وقد أورد تمام أنّ الربط يكون بالإشارة في القرآن الكريم، ويذكر أنه على الرغم من دلالة الإشارة على الحضور وإشارتها إلى مذكور سابق، إلا أنّه يطرد إمكان استبدال ضمير الغائب بها في كل موقع تربط فيه بين عناصر الجملة، ومن الشواهد في القرآن يذكر:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا** ﴾ (النساء 150 151) جاء الربط بالإشارة وبعدها ضمير الفصل ولولا ضمير الفصل لصحّ أن تضع ضمير الغيبة موضع الإشارة. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 121)

وقد يكون الربط في بعض الحالات بواسطة (الـ) التعريف. وهي تربط إذا كانت موصولة أو للجنس النسبي أو للعهد الذكري، ولكنها لا تربط إذا كانت للجنس المطلق أو للعهد الحضوري أو الذهني، لإشارتها في هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة إلى حقيقة لا تشير إلى كيان آخر ولا إلى ما سبق ذكره، أما الأنواع الثلاثة التي يربط بها في السياق فجميعها في قوة ضمير الغائب. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، الصفحات 128-130) ويذكر شواهد من القرآن الكريم لأنواع الربط ب(الـ) منها:﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾(النساء 1) أي أرحامكم.

وفي قوله تعالى:﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾ (الأعراف 46) أي على أعرافه أي على أعراف الحجاب. وفي قوله تعالى أيضا: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ (الأنفال 12).

وفي قوله تعالى أيضا يظهر هذا النوع من الربط ويشرحه تمام حسان ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (يوسف 53). أي إن (نفسي لأمارة بالسوء) وإنما عدلت عن الإضافة إلى التعريف بال، لتجعل السوء طبيعة جنس النفوس التي منها نفسها فيبدو ذنبها أخف مما لو أضافت النفس إلى ضميرها هي. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 131)

3- **قرينة التضام:**

هذه القرينة لها صلة وثيقة بالعلاقتان التقليبية والتركيبية، ويُعرف من خلال هذه القرينة إمكان التوارد والمعاقبة والتنافي أو التضاد والتكامل، الذي يُظهر بوضوح أن العنصرين المتكاملين لا يتعاقبان، أما التتابع فهو المسرح الأصيل لقرينة التضام في السياق. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 154) وقد عالج تمام هذه العلاقات بكثير من التفصيل قبل التطرق إلى هذه القرينة. ويبين تمام حسان وجود ظاهرة التضام في أبواب النحو فيقول: "فلا يكاد باب من أبواب النحو العربي يخلو من ظاهرة التضام إما في صورتها الإيجابية كالافتقار والاختصاص والتوارد، وإما في صورتها السلبية كالتنافي أو التنافر." (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 154) فهي ظاهرة لا تخصّ بابا نحويا واحدا بل تظهر على صور عدة في أبواب النحو

وقد سبق الذكر أنّ الافتقار ينقسم إلى افتقار متأصل ويكون للفظ؛ بحسب أصل الوضع وهو يخص العناصر التي لا يصح إفرادها في الاستعمال إلا عند الدراسة كافتقار حرف الجر إلى المجرور... وافتقار غير متأصل ويكون للباب بحسب التركيب؛ ومثاله افتقار المضاف إلى مضاف إليه...الخ، وأيضا "مما يقع في حيز القول في ظاهرة التضام الحذف والزيادة والفصل والاعتراض وإدخال اللفظ على غير مدخوله، ومنه التضمين وإغناء أحد العنصرين عن الآخر والشروط التركيبية الضرورية لتأليف ألفاظ السياق. " (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 157)

ويشرح وقوع الحذف بأنه "لا يكون إلا بدليل من بنية معهودة أو نمط معروف أو قرينة قائمة أو معنى في السياق لا يستقيم إلا مع تقدير الحذف." (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 157) ويورد تمام مجموعة من الأمثلة عن حذف جزء من البنية المعهودة في القرآن الكريم، وهو كثير في الأسلوب القرآني منها في قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ (البقرة 186)وقوله ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾(الرعد 9)

وقوله أيضا ﴿**وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ**﴾ (الحج 25)

أما حذف الأداة فقد يكون للأداة الداخلة على الجملة أو الداخلة على المفردة، أو لأحد عنصري الجملة أو للعنصرين مع ذكر الأداة الداخلة عليهما نحو ' لو..'، ومن الأمثلة التي أوردها تمام حسان حذف همزة الاستفهام الأداة الداخلة على الجملة:

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة 124)﴿**وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾(الشعراء 22). ومن أمثلة حذف الواو الداخلة مع جملة الحال، ومعها ما قد رصده النحاة في قوله تعالى:﴿ **أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ**﴾ (النساء 90) وفي حذف قد الداخلة على الماضي في جملة الحال مع بقاء الواو. قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ** ﴾(البقرة 166)

ومن أمثلة حذف الضمير يذكر تمام حذف ياء المتكلم سواء أكانت في موقع المفعول به أم كانت في موقع المضاف إليه. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 161) وشواهده في القرآن الكريم كثيرة منها:﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي** ﴾(هود 63 وكذلك 88) وفي قول تعالى أيضا ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ**﴾(يوسف 101)وقوله تعالى في سورة أخرى: ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ (الرعد32) وقول تعالى في:﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾(الكهف 66). ومثال حذف الضمير أيضا حذف العائد الذي به يتم الربط وذلك عند وضوح المعنى وأمن اللبس وذلك في الشاهد القرآني، في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا**﴾ (البقرة 48) أي لا تجزى فيه. (تمام ح.، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1993، صفحة 161) وأيضا يورد أمثلة أخرى عن اللفظ المفرد المحذوف؛ والذي قد يكون صفة أو موصوفا أو مضافا أو مضافا إليه، ومثال حذف الصفة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾(الكهف 79) .

هذه الأمثلة وأمثلة أخرى كثيرة من الأسلوب القرآني في سور القرآن الكريم، ذكرها تمام حسان في كتابه وقد استأنس خلالها بالكثير من أقوال النحاة في دراساتهم للتركيب القرآني.

5. خاتمة

ما يمكن استخلاصه من دراسة كتاب "البيان في روائع القرآن" أنه لا يعد من الكتب التفسيرية للقرآن التي تفسر آي وسور القرآن، وإنما يعد دراسة تطبيقية لنظرية القرائن النحوية على القرآن الكريم، وقد

هيمنت عليه الغاية التعليمية أكثر من الغاية التفسيرية، وعن منهجه فهو منهج لغوي حديث جمع بين الأصالة والمعاصرة، أمّا هذا البحث فقد خصص لتتبع القرائن اللفظيّة الواردة في بعض الآيات والتي ذكرها تمام حسان في كتابه، و قد جمع القرائن اللفظيّة والسياقية لتتفاعل هذه القرائن بعضها مع بعض وتتكامل ويعالج بها النص القرآني تحليلا وتفسيرا لفهم أسراره، وقد تتبعنا في هذه الورقة البحثية بعض تمثيلاته للقرائن اللفظيّة بآيات القرآن الكريم، وحاولت الالتزام بالموضوعية قدر المستطاع في البحث، وربما كان لتمام حسان عثرات كغيره من الباحثين إلا أنّ محاولته واجتهاده للقيام بهذا التطبيق الجريء، تُعد محاولة جيدة تحسب له واجتهاد صنع فيه المفارقة.

6ـ قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش

1. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. (1988). الكتاب (الإصدار 3). (محمد هارون عبد السلام، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
2. تمام حسان، (1993). البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، ط1، القاهرة: عالم الكتب.
3. تمام حسان، (2000). الخلاصة النحوية ، ط1، القاهرة: عالم الكتب.
4. تمام حسان، (2000). اللغة بين المعيارية والوصفية. القاهرة: عالم الكتب.
5. تمام حسان، (1994). اللغة العربية معناها ومبناها. المغرب: دار الثقافة.
6. تمام حسان، (2006). مقالات في اللغة والأدب، ط1، القاهرة: عالم الكتب.
7. عبد القاهر الجرجاني، (2011). دلائل الإعجاز. القاهرة: مكتبة الخانجي مطبعة المدني.
8. كوليزار كاكل عزيز (2009). القرينة في اللغة العربية. عمان: دار دجلة.
9. مبروك سعيد عبد الوارث. (1980). في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية (الإصدار 1). الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع.
10. محمد سمير نجيب البلدي، (1985). معجم المصطلحات النحوية والصرفية ط1، . بيروت، عمان: دار الفرقان.
11. مصطفى الساقي، (1997). أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة. القاهرة: مكتبة الخانجي.
12. ابن منظور، (2010). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
13. مهدي المخزومي، (1986). في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد العربي